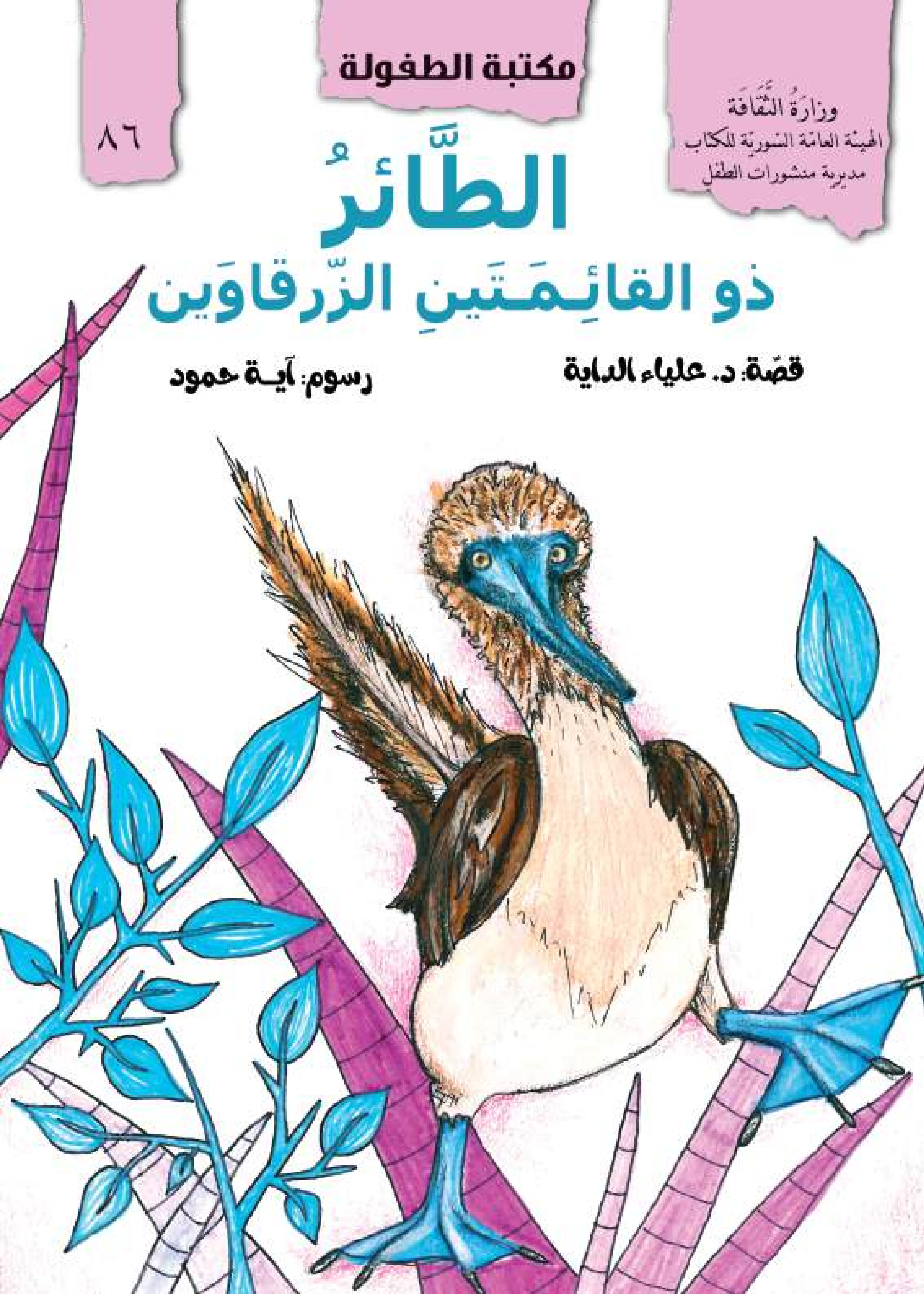

وزارةُ الثَّقافَة
الهيئة العامة السورية للكتاب
مديرية منشورات الطفل
مكتبة الطفولة
٨٦
الطَّائرُ
ذو القائِمَتَينِ الزّرقاوَين
قصّة: د. علياء الداية
رسوم: آية حمود



مكتبةُ الطّفولة

سلسلة قصصيّة موجّهة إلى الأطفال

أيار ٢٠٢٢م

الطَّائرُ ذو القائمَتَين الزَّرقاوَين

قصة: د. علياء الداية

رسوم: آيـة حمـود

تَعالوا نُلوِّنْ معاً:

أصدقائي!

في القِصَّة رُسومٌ، أسهموا معنا في تلوينها لتصيرَ أحلى.



أنـا طائـر، ومـا يُـمـيِّـزُني أنّني ذو قائمتَين زرقاوَيـن. أجل، كـما سمعتُـم أو قرأتُـم. قائمتـاي اللّتان أقفُ عليهما، وأسبحُ بواسـطتهما، لونُـهما أزرق، وهـذا مـا يجعلُنـي وبقيّـة أبنـاء جنسي مـن الطُّيـور مُـمـيّزين في هـذه الـمَـحْـمِـيّة.

الـمَـحْـمِـيّةُ مكانٌ يُـمـنَعُ فيـه صيدُ الحيوانـات والطيـور أو إخراجهـا إلى مـكان آخـر، لذلـك فأنـا أعيشُ هنـا في أمـان، والبـشرُ، مُديـرو المحميّـة، هـم أصدقاؤُنـا، يأتـونَ ليتحقّـقُوا مـن أنّنـا نحصـلُ عـلى الطعـام الـكافي، وأنّنـا في صحّـة جيّـدة، وثـمّـةَ بـشرٌ آخـرون يَـزُورُونَنا بـينَ حـين وآخـر، وُجوهُـهم تتبـدّلُ دائـماً، فهـم سُـيّاحٌ يأتُـونَ ليُشـاهِدُونا. قـد يُطعِمُنـا بعضُهـم الطعـامَ الـذي تسـمحُ بـه إدارةُ المحمـيّة، ويلتقطـونَ معنـا الصُّوَر، ثـمّ يَـخرُجون.

اسـمي في الموسـوعات «أطْيَـش أزرق القدمَـين». والـدايَ أكـبرُ حجـماً منّـي، إذ يصـلُ حجـمُ الطائـر الكبـير إلى نحـو ثمانَين سـنتيمتراً. أعيشُ في الأماكـن الدافئـة، وأحـبُّ موطنـي جـدّاً. أنـا كثـيرُ الفضـول، وهـذا مـا يُوقِعُني في الـمتاعب. صحيـحٌ أنّنـي أبحـثُ عـن غذائـي وتنشـطُ حركتـي ليـلاً،

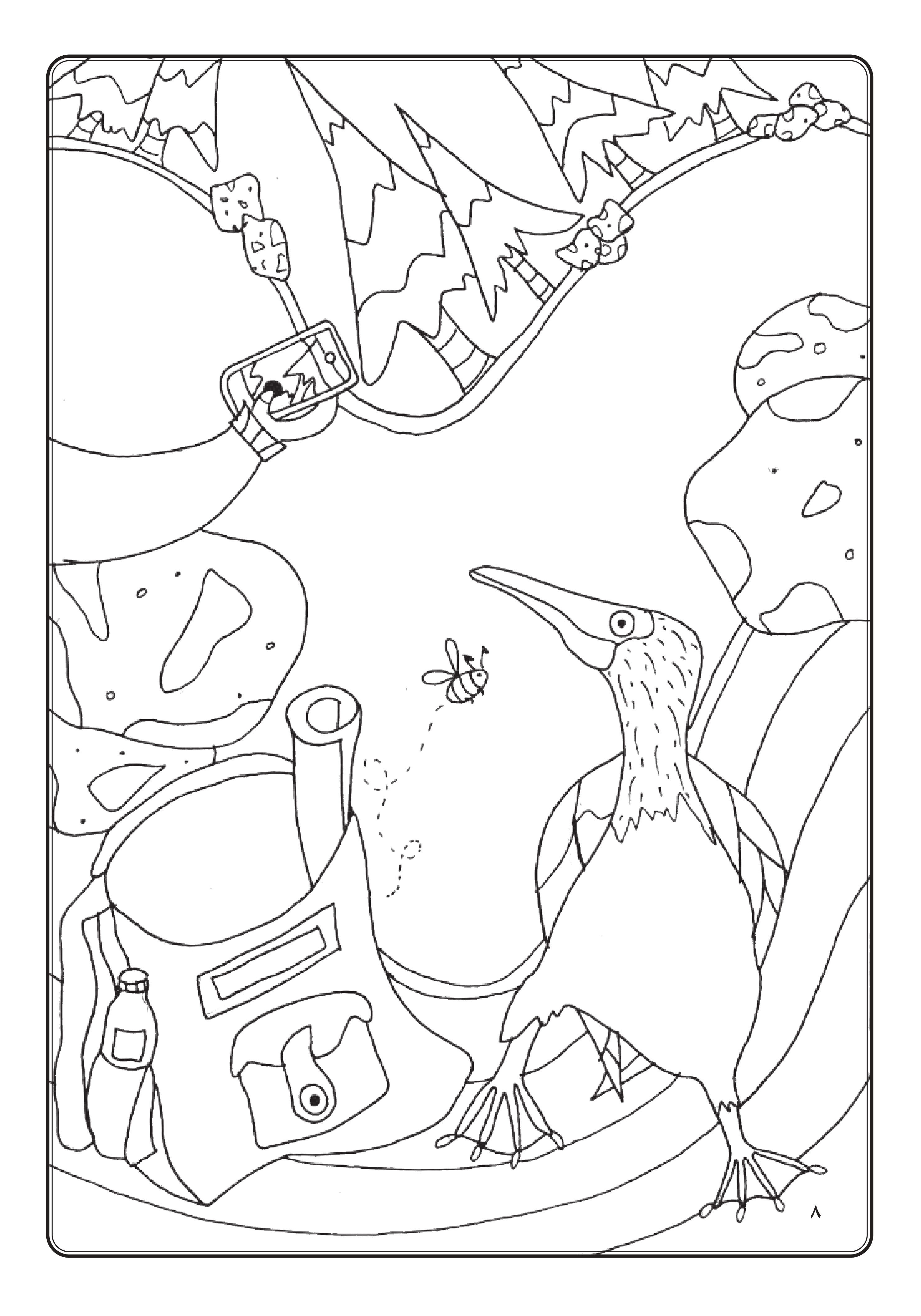


لكـنَّ للنهـار جمالَــهُ، وأجـدُ فيـه كثـيراً مـن الأصدقاء، وأسـعدُ بصُحبـة الأشـجار والغيـوم ورائحـة الأعشـاب البرّيّـة.

هـل تعلمـون؟ مـن الأمـور التـي أستغربُـها جـدّاً أنّ أحـداً لم يخطـْر لـهُ أن يُريَـني صـورتي في آلـة التصويـر، أو في الهاتـف المحمـول، وأنا أعرفُ شـكلي الخارجـيّ عَبْـرَ رُؤيتي قائمتَـيّ، ورُؤيتـي بقيّـةَ الطُّيـور التـي أُشبهُـها، وعـبرَ دليـل الحديقـة الـذي تظهـرُ فيـه صـورةٌ توضيحيّـةٌ لي، وكذلـك حـينَ أتأمّـلُ انعـكاسي عـلى سـطح ميـاه البحـيرة القريبـة.

لكـنَّ مـا حـدثَ اليـوم مُـميّـزٌ حقّـاً، فقـد صـوَّرَني أحـدُ السُّـيّاح، ثـمّ تَـمدّدَ عـلى الأرض، حتّى إنني ظننتُ أنّهُ سينام، ثـمّ اقـتربَ كثـيراً، والتقـطَ صـورة. لقـد عرفـتُ أنّـها صـورةٌ لنـا معـاً لـمّـا قرَّبَ منّـي شاشـةَ هاتفه المحمـول، وقال: انظُـر يـا صديقـي! هـذا أنـتَ، وهـذا أنـا إلى جـوارك.

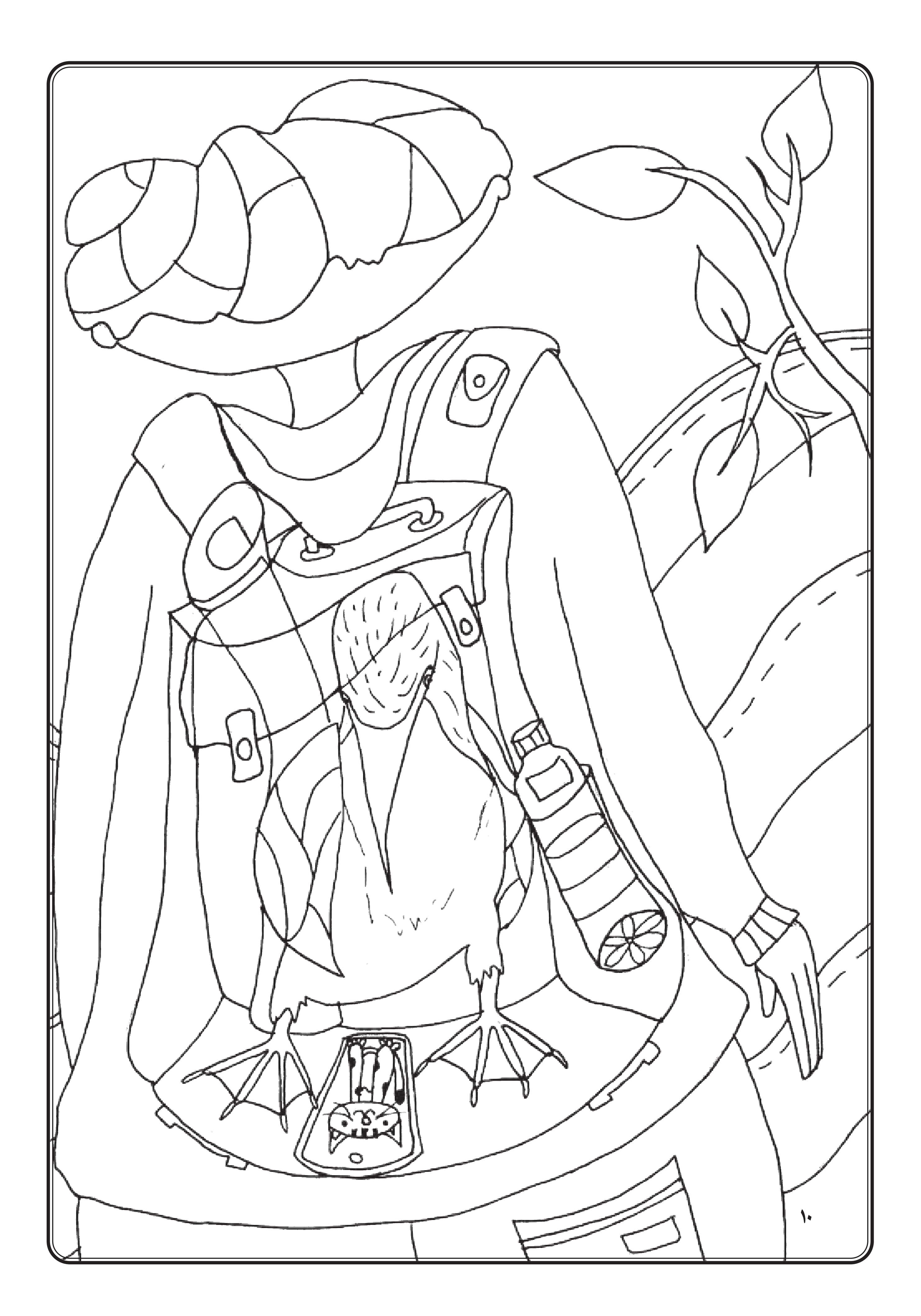
كنـتُ سـعيداً بالحصـول عـلى صديـق، مـعَ أنّـهُ صديـقٌ مُؤقَّـت، فمـن دُون شـكّ، سـيُغادرُ الحديقـة. حسـناً، لكـنْ إلى أيـن؟ لم أتسـاءلْ مـن قبـل إلى أيـن يذهـبُ السُّـيّاح. رُبّـما يذهبـونَ إلى أماكـنَ أُخـرى، أو لعلّهـم يعـودونَ إلى بُلدانهـم.



لقد شاهدتُ خريطةَ العالم لمّا أخذُوني للفحص الطِّبّيّ في نُقطة مُراقبة المحميّة. كانت الخريطةُ مُعلّقةً على الجدار، وبعضُ العلماء يُشيرونَ إلى أماكنَ فيها، كالقارّات وبعض الدُّوَل. يا لها من كُرة أرضيّة واسعة! غالبيّةُ المساحات فيها مائيّة، وأنا أحبُّ الماءَ كثيراً والسباحةَ فيه كما أخبرتُكم.

وهُنا خطرت لي فكرة: لماذا لا أتبعُ هذا السائحَ إلى حيثُ يذهب؟ حاولتُ في البداية أن ألحقَ به، لكنّهُ كانَ أسرعَ منّي بكثير. لم أستطع الطيرانَ لمسافة بعيدة، بل كنتُ أقفزُ وأطير، وفي النهاية وصلتُ إلى محطّته التي توقّفَ فيها. كان يلتقطُ صُوراً لبعض الأشجار، وحقيبتُهُ الكبيرةُ مفتوحة. كان قد أنزلَها عن ظهره. يبدو أنّهُ أخرجَ منها شطيرةً، ثمّ نسيَ الحقيبةَ مُستندةً إلى الصَّخرة على طرف الدَّرب التُّرابيّ.

حسناً، رُبّما خمّنتُم ما فعلت. نعم، لقد تسلّلتُ إلى داخل الحقيبة المفتوحة. كان المكانُ ضيّقاً، ولم أكدْ أنزعجُ منه، حتّى ارتفعتُ إلى الأعلى، وعمَّ الظلام، وأخذتُ



أتأرجـحُ يمنـةً ويـسرة. يـا للهـول! لقـد أغلـقَ السـائحُ الحقيبـة، وأنـا داخلَــها. هل حَــبَسَني؟!

أنـا بـارعٌ جـدّاً في الغـوص في الميـاه، وبـارعٌ في الطـيران، أمّـا السَّـير فهـو أقـلُّ مهـاراتي إتقانـاً، وهـذا مـا جعلَنـي أتخفّـفُ مـن مشـقّة السَّـير عـلى قدمَـين، وأسـتريحُ بدخـولي هـذه الحقيبـة.

مـعَ الزمـن، لم يبـدُ أنّ السـائحَ مُـهتـمٌّ بي، ولعلّــهُ لا يشـعرُ بوجـودي، فقـد أغلـقَ الحقيبـة، وهـو لا يـدري أنّني داخلَــها. سـأعرفُ البلـدَ الـذي جـاءَ منـه، وأسـتمتعُ بهـذه الرحلـة، مـعَ أننـي أكادُ أختنـقُ في هـذا المـكان.

اكتشـفتُ لاحقـاً أنّ المـكانَ ليـسَ ضيّقـاً، فثمّـــةَ فسـحةٌ بسـيطةٌ للحركـة، ثـــمّ اصطدمَــتْ قائمتـايَ بـشيء، ولـــمعَ ضـوءٌ، ثـمّ خفـتَ بسُرعـة. نظـرتُ نحـوَه. إنّـها شاشـةُ الهاتف المحمـول. يبـدو أنَّ لـدى السـائح هاتفَـين محمولَــين. أخـذتُ أنقـــرُ بمنقـاري عـلى الهاتـف الحبيـس في الحقيبـة مثـلي، لكـنَّ شاشـتَهُ لم تسـتجب. كانـت مُتوقّفـةً عـلى مشـهد قطّـة ضاحكـة. القطـطُ تـأكلُ الطيـور، ولذلـكَ لا أُحبُّــها. مـاذا لـو دخلَـتْ قطّةٌ الحقيبـةَ، أو اكتشـفَتْ وجـودي؟ أنـا خائـفٌ حقـاً!

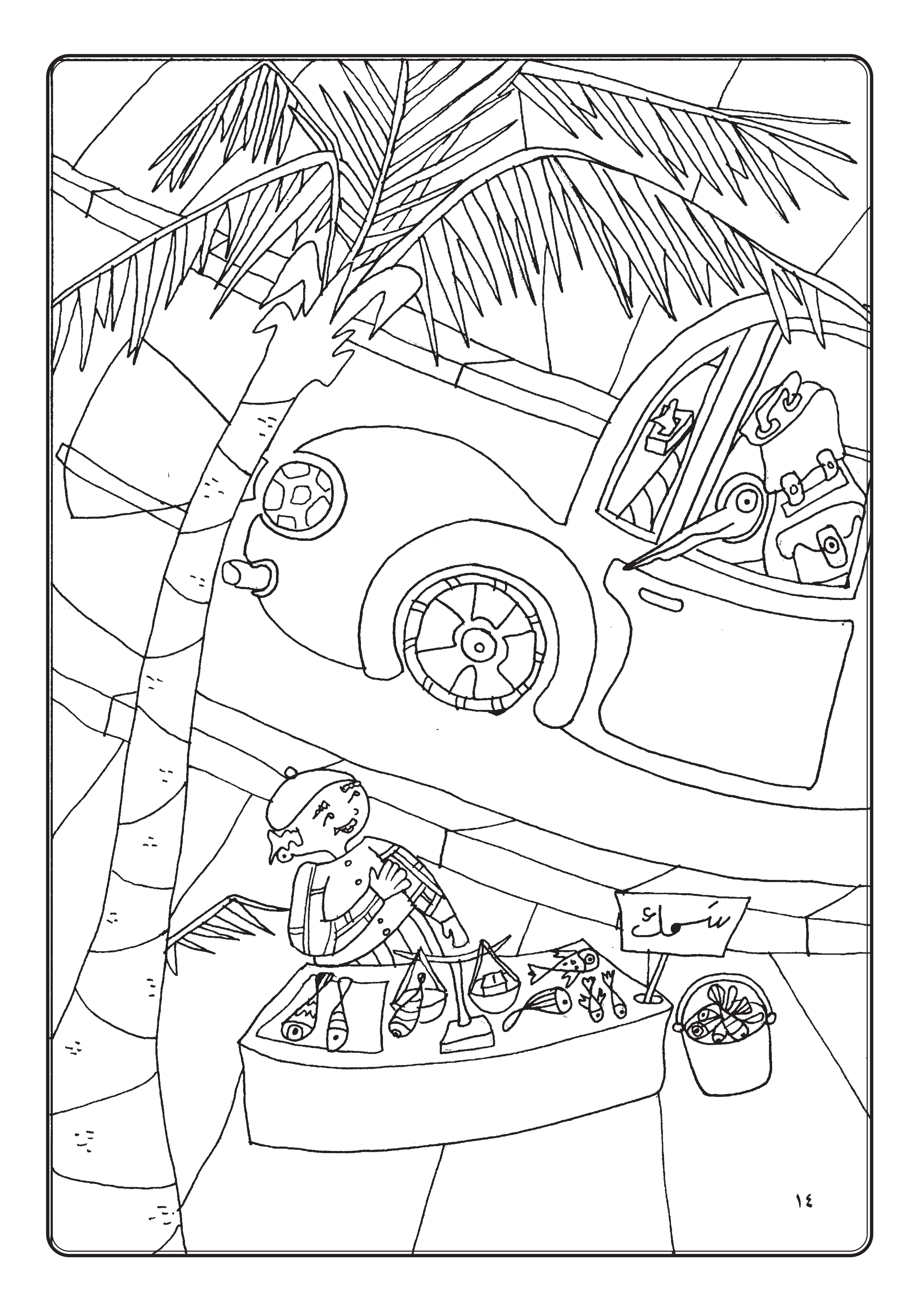


وضـعَ السـائحُ الحقيبـةَ عـلى الأرض. بقيـتُ هكـذا مُـدّة، وأخـذتُ أُفكّـر: لعلّـهُ يُشـاهدُ حيوانـاتٍ أُخـرى، أو نباتـات. كانَ صوتُـهُ بعيـداً، ثـمّ عـادت خطواتُـهُ تقترب. قلـتُ لنفسي: سـيفتحُ الحقيبـةَ الآن، وأخـرجُ، وسـأهربُ سريعـاً مـن القطـط والبـشر والحقائـب، لكـنَّ شـيئاً مـن هـذا لم يحـدُث، بـل حمـلَ الحقيبـةَ على ظهـره مُـجدّداً.

مـعَ الوقـت عثـرتُ عـلى ثقـب صغـير مُـخصّص لربـط الحقيبـة بالحبـال. نظـرتُ عَـبْـرَهُ، فرأيـتُ مشـاهدَ رائعـة: الـدرب التُّرابـيّ الـمُـمتدّ، ومجموعـات الأشـجار، والسُّـيّاح يتجوّلـون... كانـت الطيـورُ بعيـدةً جـدّاً، ولعلّـها تفتقـدُني الآن. لـو أنّ لـديَّ هاتفـاً محمـولاً! لكـنَّ الحضـارةَ لم تصـلْ إلينا، أو لعلّنـا نحـنُ لم نصـلْ إليهـا.

المشـاهدُ تتغـيرّ. ثـمّـةَ شـارعٌ وسـيّارات، أخ... جسـمي يرتطـمُ بـشيء مـا. لقد ألقـى السـائحُ بحقيبتـه في مخزن سـيّارة. عليـه أن يكـونَ أكثـرَ لُطفـاً، أو أقـلَّ عُنفـاً، لكنّـهُ لا يـدري بأنّنـي هُنـا.

وقبـلَ أن ينطبـقَ المخـزن، أخـذَ السـائحُ حقيبتَـهُ، وأخرجَـها


سمك

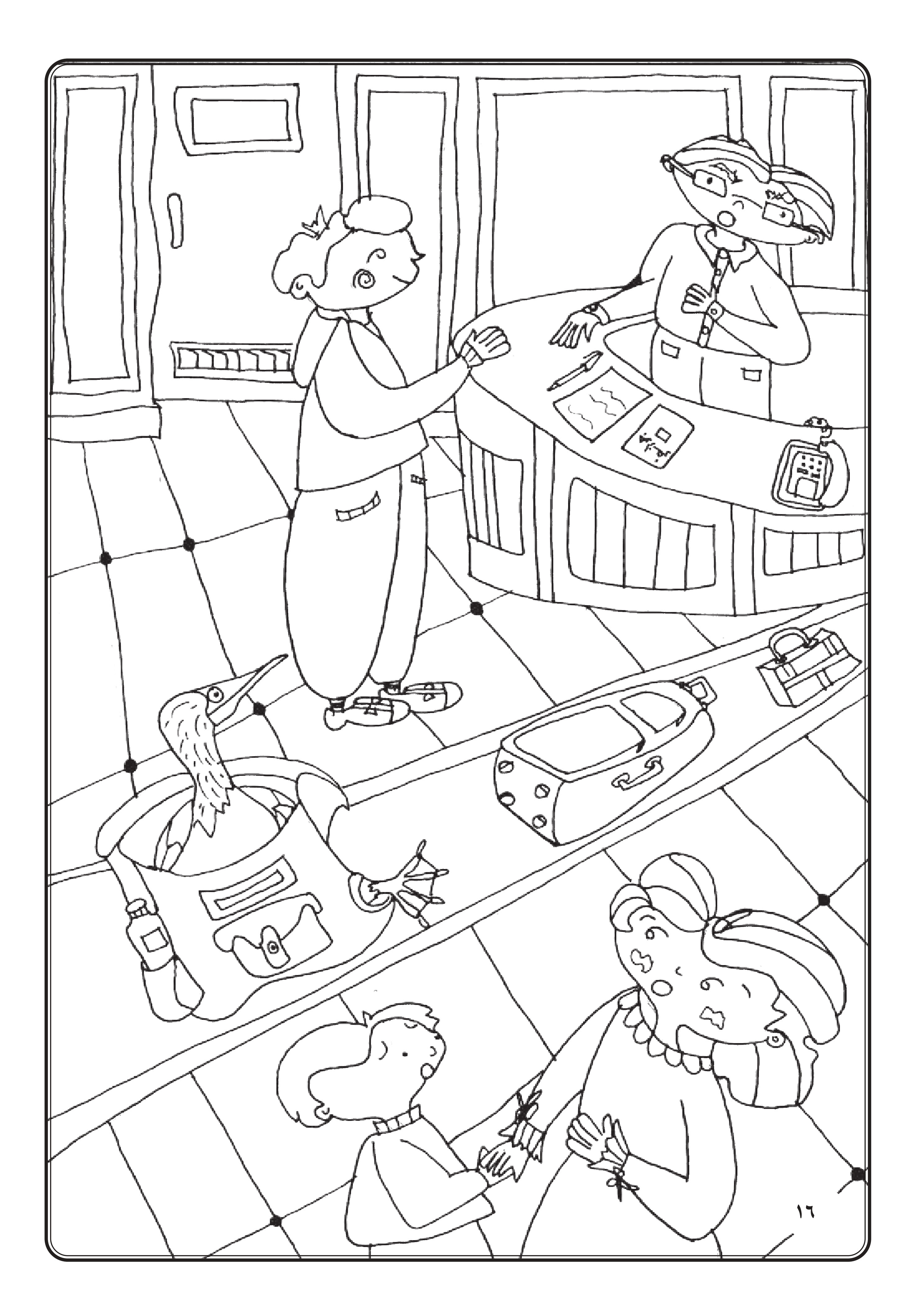
مـن المكان. يا لسعادتي! لعلّـهُ شـعرَ بوجـودي، وسيُــخرِجُني! لــم يتغيّــر شيء، ولــم أخـرج. مـا حدثَ هـو أنّ السـائحَ وضعَ الحقيبـةَ إلى جانبـه في المقعـد الخلفـيّ. ثـمّــةَ أُنـاسٌ يتحدّثـون. أصـواتٌ وكلـماتٌ وعبـارات، وقـد فهمـتُ منهـا ومـن المشـهد الـذي يبـدو مـن ثقـب الحقيبـة ومـن نافـذة السـيّارة أننـا ذاهبُونَ إلى المطـار.

المطار! هل سأطيرُ، أنا الطائر، داخلَ طائرة؟! وإلى أين؟

مِــن ثقـب الحقيبة، كنـتُ أرى نافـذةَ السـيّارة. ركّـزتُ النظر، فتمكّنـتُ مـن مشـاهدة المناظـر في الطريـق. ثـمّــةَ سـيّاراتٌ، وأشـجارُ نخيـل، ورَجـلٌ عـلى درّاجـة هوائيّـة، وبائـعُ سـمك... السمكُ وجبتي الــمُفضّلة. صرتُ أتمنّـى العودةَ إلى الــمحميّة سريعـاً لتنـاوُل الطعـام ورؤيـة أهـلي وبيتـي بعـدَ هـذه الورطـة. لـو أنني أسـتطيعُ السَّـير بسُرعـةِ هـذه السـيّارة!

أُحــسُّ بأنّنـي مُقيَّــدٌ، فالمـكانُ ضيّـقٌ، والسـائحُ لا يُــحسُّ بوجـودي. لــو تمكّنـتُ لَــخَرجتُ مــن الحقيبـة والنافـذة والسـيّارة، ولَــطِرتُ عائـداً.

في المطـار، ثـمّــةَ عـددٌ كبـيرٌ مـن النّـاس، وأطفـالٌ إلى جانـب



أهاليهم، وحقائبُ وعرَبات، وعُمّالُ نظافة، وإشارات، ونوافذُ كبيرةٌ جداً زُجاجُها لامع، وحواجزُ وأكشاكٌ يجلسُ وراءها وحولها مُوظّفُون. المكانُ ينبضُ بالحركة، فالكُلُّ على سفر.

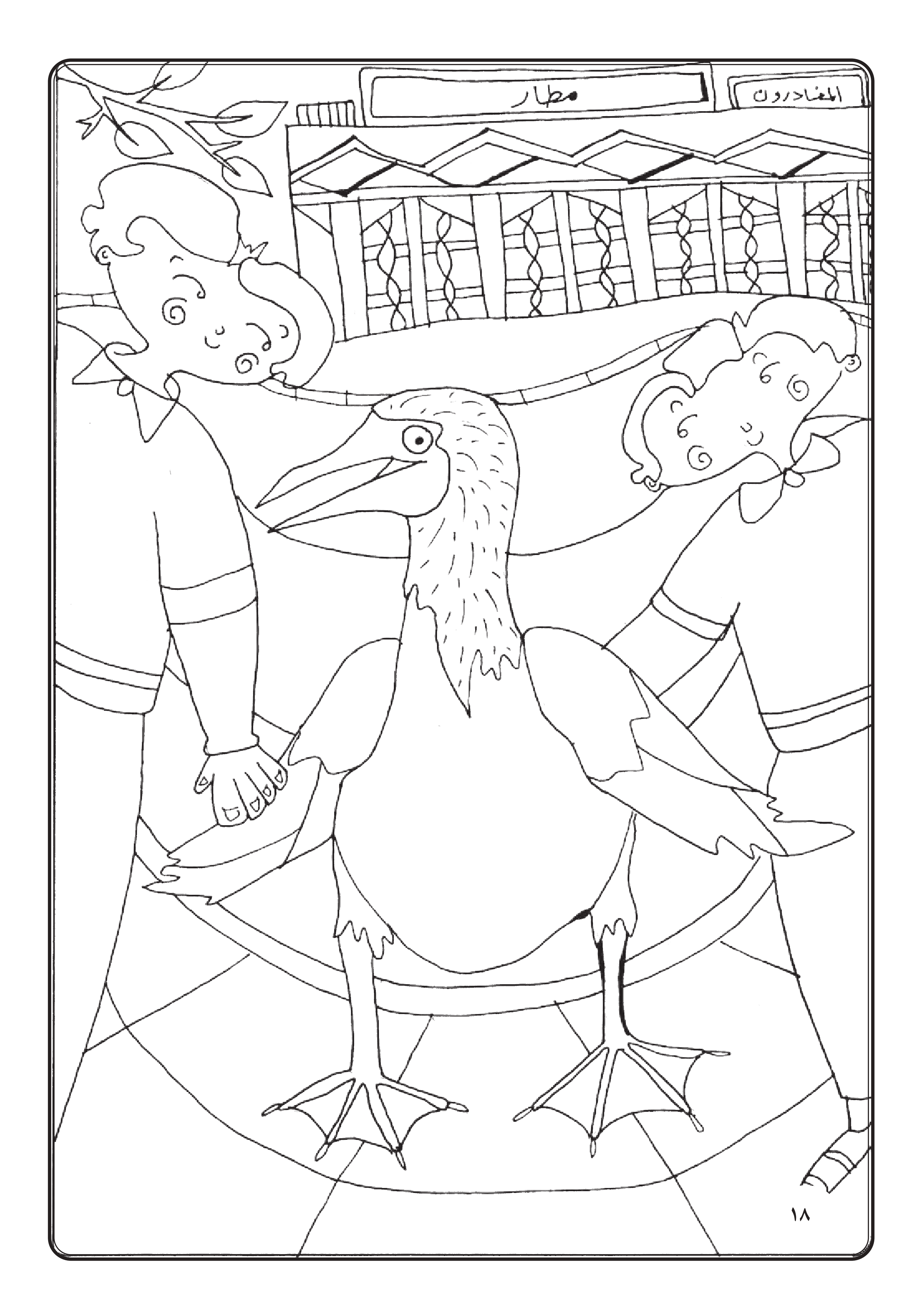
في المطار، كانَ السائحُ قد دخلَ، واقتربَ من مكان وَزْنِ الحقائب وتفتيشها، وهو يُنهي مكالمةً سريعة، ولمّا وضعَ هاتفَهُ في جيبه علَتْ صيحاتُ استنكار.

أنظرُ بدهشة إلى وُجوه تتأمّلُني، وقد انفتحَ غطاءُ الحقيبة فجأةً، وفهمتُ أنّ عناصرَ تفتيش المطار غاضبونَ لأنّ السائحَ يُهرِّبُني في حقيبته.

كانت الأصواتُ تعلو من حول السائح، وتُشيرُ إليه بأصابع الاتّهام:

– هل تعلمُ ما سيحدثُ لهذا الطائر المسكين بعدَ إقلاع الطائرة؟ سيختلفُ عليه الضغطُ الجويّ. إنّهُ ليسَ إنساناً، ولا يُمكِنُنا توفير الظُّروف المُلائمة له.

– إنّكَ تنتهكُ القوانين، فلا يجوزُ اصطحابُ الكائنات الحيّة من دون تصريحات رسميّة.


مطار
المغادرون

- إنّهُ كائنٌ يعيشُ في محمـيّة!

أمّا السائحُ فلم يكُنْ يصيح، بل يتكلّـمُ بهدوء، وهو ينظرُ إلـيّ:

- الطائـرُ هـذا ذو القائمتَـين الزّرقاوَيـن هـو الـذي دخـلَ حقيبتـي، وأنـا مُـتفاجـئٌ بـه مثلكـم تمامـاً، وعليكـم أن تُكتّشِـفُوا دراسـاتكم البيولوجيّـة حـولَ هـذه الكائنـات الغريبـة.

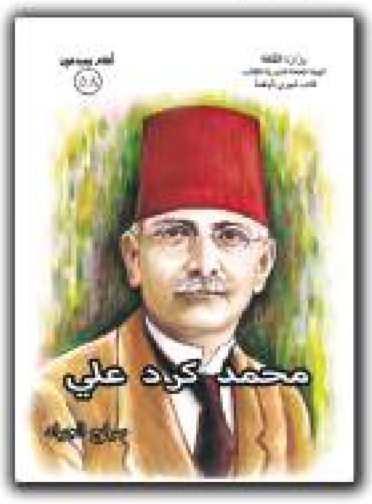
كنـتُ أُصفّـقُ بـجناحَـيّ، والـمُوظّفونَ يُـمسِكُونَ بي، وهـم يَنـوُونَ إعـادتي إلى المحمـيّة.

في أثنـاء مُغـادرتي المطـار بصُحبتهـم، كانـتْ آخـر التفاتـة لي إلى السـائح. كانَ مُـبتسماً يُـحادِثُ شـخصاً، وقد حُـلَّـت الـمُشكلةُ أو سـوءُ الفهـم هـذا.

كلُّهـم سُـعداء الآن في النهايـة، وسـيتذكّرُ هـذا السـائحُ طويلاً الطائـرَ ذا القائمتَـينِ الزرقاوَيـن، أنا!

من إصدارات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب
شهر نيسان ٢٠٢٢م

















www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠٢٢م

سعر النسخة ٢٥٠ ل.س أو ما يعادلها